بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله كما ينبغي لجلال قدره ، وعظيم سلطانه ، ونشكره على فضله وإحسانه واللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما ، أمّـــا بـــعـــد :

إنّ الحديث عن المصطلح في أيّ علم من العلوم هو ضرورة مُلحّة ، تـــدعـــو إليها الاحتياجات العلميّة المتخصّصة . و المصطلح من حيث وُجوده يُعدُّ نِتاجَ العلم وخُلاصـــةَ حقائقه ، ومَعْلَمَ تمايُزِهِ عن غيره ، و تخصّصه بذاتِهِ . و لذا فإنّ مفاتيحَ الـــعـــلوم هـــي مصطلحاتها ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى ، فهي مجمع حقائقها المعرفية ، و عنوان ما به يتميّز كلّ واحد منها عمّا سواه .

والمصطلح الصّوتي هو وليدُ المصطلح اللغوي العام في الحقل الواسع والشـــــامـــل لكـــلّ معارف اللغة من صرف و نحو و بلاغة و عروض ، وهو إفراز دقيق و تصنيـــف خاص ينسجم وطبيعة حقل علم الأصوات ، لا تزال دائرته تتّســـــعُ وأدلّته تتجدّد مع تجدّدِ البحث العلمي و تطورها في الزمن .

وليس البحث في المصطلحات الصّوتية بصفة عامة ، و المصطلحات الصّوتية عند الفلاسفة بصفة خاصة ترفا علميا ، تدفع إليه قلّة المواضيع المهَيّأة للدراسة ، ولكنّه ضرورة مُلحّة فلقد ظلّ المصطلح الصّوتي في مباحث الفلاسفة الصّوتية شبه منسي ، إذ لم يُوله الباحثون عناية كبيرة ، و لم يَحْظَ بدراسة منهجيّة مُتخَصّصة ، إذ أنّ الأذهان و الأنامل كانت تتّجه إلى النحاة و اللغويين في كلّ مرّة يُذكرُ فيها المصطلح الصّوتي ، غيرَ أنّ هذا الحقل كـــان رَحبًا لاحتضان علماء آخرين له ، صُنّفُوا في إطار فلسفي ، حيث قدّم الفلاسفة بدخُولهم حقل الصّوتيات أفضل و أدقّ النتائج . ونحن نضعُ أسطارنا هنا عرفانا و تقديرا لجـــهود علمائنا القُدامى ، التي لا يُمكنُ إغفالها ، فقد و ضعوا المعايير و القواعد لضبط البُـــــنى اللغوية ، فكانت قواعدهم مُنطلَقا للدراسات اللغوية الحديثة . وهذا البحث نِتاجُ جُهـــدٍ متواضعٍ بذلتُهُ في مُحاولةِ كشفِ الغطاء عن واحد من الفلاسفة الذين برعوا في مـــجال الأصوات ، ألا وهو ابن سينا ، فما أكثر الكتب و الرسائل التي تركها لنا الشيخ الرئيس وما أكثر الكتب و المقالات التي كُتبتْ عنه وعن تُراثهِ العلمي و الفلسفي .

فالرجل عَلَمٌ من علماء العرب الموسوعيين الذين أحاطُوا بشتّى فُروع المعرفة ، وكتبوا فيها ومن تلك المعارف العديدة المتنوعة ألّف كُتبه ورسائله في صورة بارعة من الشّمـــــول والدّقّة. وسأعرضُ هنا لإسهامه في مجال علم الأصوات ، و بالضّبط لمصطلحاته الصّوتـــية مُحاولة إلقاء الضّوء على جُهده المغمور ، و مُبرزة ما قدّمه لنا و للعالم الأوربي ، وبذلك تكتملُ الحلقات في سلسلة التاريخ العلمي للدراسات الصّوتية .

إنّ صِلتي بعلم الأصوات اللغوية بدأت منذ فـــتـــرة من الزمن ، حين تلقّيتُ مبادئهُ على يد أستاذي الفاضل الدكتور" **المهدي بوروبة** " بجامعة تلمسان ، وتعمّقتْ تلك المعرفة حين قدّمتُ رسالة الليسانس الموسومة ب : " **المصطلحات الصّوتية بين النحاة الفلاسفة ــ سيبويه و ابن سينا نموذجين ــ** " . ولكن بعد مناقشتي للرسالة ، واستفادتي مـــــن آراء أستاذي الفاضلين " **الدكتور المهدي بوروبة** " و " **الدكتور عبد الجليل مصطفـــاوي** " اكتشفت أنّ الجانب الخاص بابن سينا يحـــتاجُ إلى تكملـــــــة ، وأنّ هناك جوانب لم أدرســـــها ومصطلحات صوتية تطرّق إليها ابن ســـــينا ودرسهـــــا بدقة ، ولـــــم أذكـــرهـــا الـــبتّـــة فـــتـــــوصّلت إلى نتيجة مفادها أن أجعل البحث خاصّا بابـــن سينا ، وأن أُلقيَ الضـــّوء على الجوانب التي أغفلتها ســـابـــقـــا وعن هذه النتيجة انـــبثقت فكرة هذا البـــحث الـــذي عنونته ب : " **المصطلح الصوتي عند ابن سينا** " . و لكنّني لا أنكرُ أنّني كنتُ في حـــيرة من أمري ، ومـــُتـــردّدة نـــوعـــا مـــا ، فـــاســـتشرتُ أستاذي " **المهدي بوروبة** " الـــذي لم يبخل عليَّ بأفـــكاره الـــنيّـــرةِ ، فاقـــتـــنعتُ وعـــزمـــتُ على خوض غمار البحث . فله مني جزيل الشكر و العرفان .

وهناك دوافع أخرى جعلتني أختار هذا الموضوع ، ولعلّ أهمّها :

1 ــ اقتناعي بأنّ فهم مصطلحات أيّ علم هو السبيل لفهم مبادئ هذا العمل ونظرياته فالتّطلّعُ إلى اكتساب ركيزة في العلوم اللغوية ، يجب أن يسبقهُ السّعيُ لفهم مبادئ هـــذه العلوم ، و العمل على دراسة ما وصل إليه أعلام هذا الميدان .

2 ــ إدراكي أنّ ابن سينا يُعَدُّ مُؤسّسا حقيقيا ، و مُلهمًا مُباشرًا و غير مــُباشــرٍ لجُــلِّ الباحثينَ في حقل الصوتيات من المحدثينَ .

3 ــ عدم مُصادفتي في حدود علمي أيّ دراسة جادّة للمصطلح الصّوتي عند الفلاسفــة وبالأخصّ عند ابن سينا .

من أجل هذه الدّوافع ، و أمام هذا النّقص الذي تشكو منه المكتبة العربية فيما يخصّ البحوث المتعلقة بالمصطلح الصّوتي عند الفلاسفة ، وقع اختياري على هذا الميـــــدان موضوعا لبحثي ، وذلك بُغيةَ استغراقِ جميع ما استخدمهُ ابن سينا من مـــصطـــلـــحات في تناوُله لأصوات المنظومة العربية .

أمّا عن الصّعوبات التي واجهتني في هذا البحث فهي مشتركة بين جميع الباحثين ولا داعي لذكرها .

وقد بدأت هذا البحث بعد المقدمة بمدخل عرضت فيه لأصول التّفكير الاصطلاحـــي عند الفلاسفة و مصادره ، فحاولتُ وضعَ أساسٍ للبحث الصّوتي عند الفلاسفة. مـــبرزةً أصول المصطلحات التي اعتمدوها ، ودوافع الدراسة الصّوتية عندهم .

أمّا الفصل الأوّل فقد أدرجتُ فيه المصطلحات الصّوتية الفونيتيكية عند ابن سيـــــنا وذلك في ثلاثة عناصر هي : مصطلحات الدراسة الفيزيائية ، وقد حاولت في هذا العنصر التوصّلَ لحقيقة مصطلح الصوت ، وكذا كلّ المصطلحات التي لها علاقة بهذا المصطلـــح . في حين خصّصتُ العنصرَ الثاني لمصطلحات جهاز النطق لأختمَ بالمصطلحات الضّابطة لمحابس الأصوات ــ بشقّيها صوامت ومصوّتات ــ و صفاتها.

في حين خصّصتُ الفصل الثاني لمصطلحات الدراسة التشكيلية وما فوق التشكيلية ، وقد جاء في عنصرين ، الأول أوردتُ فيه مصطلحات الدراسة التشكيلية ، وبيّنتُ أنّ ابن سينا أدركَ التّغيّرات التي تعتري الصّوت اللغوي في حالة التّركيب ، و الثاني بيّنتُ فيه مـــدى إدراك ابن سينا لمصطلحات المقطع و النبر و التنغيم ، وهذه الأخيرة تمثّل الدراسة ما فوق التشكيلية .

وقد وسمتُ الفصل الثالث بنقد و تقويم لمصطلحات ابن سينا في ضوء الدرس الصّـــوتي الحديث ، وضمّنتُهُ عنصرين . خصّصت العنصر الأول للمصطلحات الصّوتية الفونيتيكية في ميزان الدرس الصوتي الحديث ، فحاولتُ من خلال هذا العنصر التّوصّلَ لمدى التّقارب بين ما جاء به ابن سينا من مصطلحات و حقائق صوتية وما توصّل إليه الأصواتـــيـــون المحدثون . و خصّصت العنصر الثاني لموازنة بين مصطلحات الدراسة التشكيلية وما فـــوق التشكيلية الواردة عند ابن سينا و مصطلحات الدرس الصّوتي الحديث . ثم جئتُ بخاتمـــة تضمّنت حوصلة ما يُمكنُ قوله عن مصطلحات ابن سينا . و ذيّلت بحـــثي بـــقائمـــــة للمصطلحات الصوتية الواردة في البحث مترجمة إلى اللغة الانجليزية ، وفهرس للـــمصادر والمراجع المستعملة ، وأخيرا فهرس موضوعات البحث .

وقد فرضت عليّ طبيعة البحث اتّباع منـــاهج مختـــلفة ، من التّاريخي والوصفـــــي فالتحليلي إلى المقارن . أمّا ما جعلني أتّبعُ المنهجَ الأوّل فكوْني أشرتُ إلى مجموعـــــــة من الفلاسفـــــة كالكندي والفارابي و ابن سينا ، وهذه الطّائفة لم تتواجد في حقبة زمنية واحدة . ومـــا دفـــعـــني إلى استعمال المنهج الوصفي كوني كنتُ أصفُ المصطـــلـــح الصوتي كما ورد عند ابن ســـينا في مُؤلّفاته ، دون تدخّل شخصي منّي .

ولأنني كثيرا ما كنتُ أقوم بتحليل بعض الظّواهر الصّوتية ، وظّـــفـــتُ التـــــــحليل و بما أنّني عرضتُ لمصطلحات ابن سينا ودعّمتها بما كان قد توصّل إليه النحاة و اللغويون من قبل ، وما توصّل إليه المحدثـــون في حقل المصطلح الصّوتي من مصطلحات صوتيـــة كان لزاما عليّ الاستعانة بالمنهج المقارن.

وإذا كانت مُعالجة أفكار البحث و قضاياه تتمّ وفقَ رؤية علمـــية محددة مُسبقا يتبنّـــاها الباحث منذُ الوهلة الأولى في عمله ، فإنّ بناءه لا يتمّ إلاّ وفق منهج يقتضيه البحث ذاته . دون تدخل الباحث ، لذا فإنّ نموّ الأفكار و تطورها و تموضعها في البحث كان بحسب ما يستدعيه البحث ، وهو مبرّر تقديم الأفكار مرة ، و تأخيرها مرة أخـــــرى وتأجيلهـــا مرة ثالثة.

وقد قام بحثي على أساس تراثي تأصيلي ، منطلقة دوما من المؤلفات القديمة في رصد المصطلح الصوتي ، ومحاولة فهمه في ضوء علم اللغة الحديث. فكانت المادة العلمية التراثية بمثابة المدونة التي انطلقت منها. لذا فإنّ منهج القراءة قد جريتُ فيه على اعتماد التسلسل الزمني قدر الممكن ، بدءا بابن سينا ووصولا إلى المحدثين ، حتّى أتمكّن من تتبّع المصطلح الصّوتي و التّحكّم فيه عبر الزمن من خلال مختلف الدراسات التي تعرّضت له ، و خاصّة من ناحية ضبط المصطلح في كلّ مرّة. وعليه فقد اعتمدتُ جملة من المصادر الأساسية **كرسالة أسباب حدوث الحروف والشفاء و القانون " لابن سينا " والكتاب " لسيبويه " و الخصائص و سر صناعة الإعراب " لابن جني " و المقتضب " للمبرد "** أمّا فيما يخصّ مراجع المحدثين فنذكر : **الإدراك الحسي عند ابن سينا " لمحمد عثمان نجاتي " وعلم اللغة العام ــ الأصوات ــ" كمال بشر" و الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " ، و علم الأصوات " بارتيل مالبرج " و علم الأصوات عند ابن سينا " محمد صالح الضالع " .**

وأشيرُ إلى أنّني دعّمتُ بحثي بلوحات تشريحية نقلتها عن كتاب :

Atlas D’anatomie Humaine par : Frank . H . Netter.

وفي الأخير ، لا أدّعي أنّني بلغتُ كل ما سعيتُ إليه ، فكما يقول الشاعر " **أبو البقاء الرندي** " :

لكلّ شيء إذا ما تمّ نُقصانُ * فلا يُغرّ بطيبِ العيش إنسانُ**

أو أقول أنّني أتيتُ بالجديد في هذا البحث المتواضع . بقدرِ ما أعتبرهُ مُحاولة تعلّم قراءة ما جادَ به أهل العلم بصفة عامة ، وما خصّ ميدان البحث بصفة أخص ، ولهم في هذا كلّ الفضل ، آملة أن تكون مواطىء قدمي الأولى موطئا سليما ومُوفّقا في بداية رحلتي وحسبي من كلّ هذا أجر الاجتهاد ، و الكمال لله في كلّ أمر .

أسألك ربّي التوفيق .

مغنية يوم : 16 جمادى الثانية 1431 هـ الموافق ل : 30 ماي 2010م

.